

السبـتـة 2011-01-01

## 1219-مستشفى العباسية: ويبيقى الجنون داخلنا نرعاه ونتعلم منه!

### تعتقة الوفد

تمهيد

يبدو أن المقالات (التعتقات) السياسية والمتعلقة بآلام وإشكالات وتحديات الواقع الراهن تتراجع من الموضع رغمما عنى، وأذكر أن ذلك كان مطلباً لبعض الأمداء في وقت ما، مثل د. محمد أحمد الرخاوي، وربما د. أميمة رفعت (لا أذكر تجديداً)، المهم توقفت تعتقة الدستور بعد أن مات الدستور، ثم تكرر حجب مقال (تعتقة) الوفد، فقررت من ناحيتي التوقف عن الكتابة فيه حتى يعودوا إلى الطلب بعد التوضيح.

تعتقة اليوم كتبتها للوفد مشاركة مني في حملة رفض هدم مستشفى العباسية لحاجة في نفس أصحاب الغرض، وكنت حريراً على نشرها في وقت مناسب قبل تراجع (او توضيح) وزير الصحة وقبل قرار بناء الحفاظ على الآثار وقبل توجيهات الرئيس، وقد تعمدت أن أتبه إلى معركتنا السابقة سنة 1993/1994 حول نفس الموضوع وأننا اتبعنا حينذاك مثل نفس الأسلوب الذي انتهجه في هذا المقال للاتفاق حول القرار ليبدو التراجع كأنه جاء من أهل من يملك حق التراجع، لكن الوفد - لسبب لا أعرفه - فوت على هذه الفرصة فقلت أنشر المقال اليوم في موقعى المتواضع، خاصة وقد بلغتني شائعة أني كنت مع هدم مستشفى العباسية - رأيت كيف-؟!! سبحان الله!

ومازال عندي تحفظ أن يكون سبب العدول عن الهدم هو الحافظة على الآثار!!! وليس على الإنسان، أو تنفيذ التوجيهات العليا وليس احترام الجنون داخلنا والجنون وسطنا، وفي بؤرة عينا.

وسوف أعود لتفصيل ذلك قريباً.

### مستشفى العباسية: ويبيقى الجنون داخلنا نرعاه ونتعلم منه!

لماذا تخاف أن نرى الجنون داخلنا؟ لماذا تخاف أن نرى الجنون وسطنا؟ لماذا نسمى الجنون إسماً غير هذا الاسم الرائع "الجنون"؟ لماذا تختبئ من الحقيقة، ونغمض أعيننا عن ما

نكتمل به؟ حين كتب أفلاطون جمهوريته لم ينتبه الكثيرون إلى أنه كان يتحدث عن النفس الإنسانية، وأنه جاً إلى هذا "الكتير" برسها دولة وجمهورية لتوضيح العلاقة بين مكونات النفس البشرية أساساً فاختزلها الناس وكثير من الباحثين والنقاد، إلى جمهورية وطبقات...أى، أفلاطون في جمهوريته يشبه أجزاء الدولة بأجزاء الإنسان... الدولة تنقسم إلى: طبقة الحكام ، طبقة الجيش ، طبقة الصناع والعمال وفيه العاطفة...أى، إذن وهذه الجمهورية المزعومة ليست إلا النفس البشرية ، أساساً وابتداءً.

روح يا زمان تعالي يا زمان أعدت اكتشاف هذه المقدمة البدئية وأنا أقدم أطروحتى الواحدة تلو الأخرى عن العقل والجنون والحكمة والناس والسياسة ، وكان آخرها "الجنون في رحاب العقل": نشر في موقع www.rakhawy.org 2010/11/10

في سياق هذا التوجه كتبت سنة 1993 حين همّوا بنقل مستشفى العباسية آنذاك، إلى مدينة بدر أيضاً، كتبت، في الأهرام مقالاً بعنوان "المبقي والمعنى" ، وكان المرحوم أ.د. على عبد الفتاح وزيراً للصحة ، وقادت حملة طيبة مثابرة من كل الأطباء والعقلاء والمبدعين الجانين للتوضيح المسألة ، وطرحو ما خطر لهم من شكوك حول حقيقة أسباب النقل لاستغلال هذه الأرض بواسطة بعض رجال الأعمال لكتداً وكيت، وانتهت الحملة بفضل يقظة الدولة ، وتفهم وزير الصحة لما طرح من أفكار بديلة ، وكانت الديقراطية أيامها تتحسّن طريقها بشكل أفضل ، وفرحنا ، ليس فقط بكسب المعركة ، ولكن لأن المسؤولين أحسنوا الاستماع ، وضدقوا في الاستجابة ، ثم كتبت مقالات تالية في الأهرام أيضاً بعنوان "احترام الجنون.. وواجب الجامعات" بتاريخ 28/9/1994 ، شاكراً ، مضيفاً: قلت فيه بالحرف الواحد: "... .... (ماهى) مستشفى العباسية ما زالت قائمة في مكانها شاحة تعلن عراقة التاريخ وشجاعة الواقع ، وقد قسمت إلى ست مستشفيات ، وأعيد تنظيم إدارتها فأصبح لها ست مدارء ، ومدير عام ..... ، كما أصبحت تدار يقدر مناسب من اللامركزية ، ثم هذه هي أرضها لم تبع ، ولم تكن مجالاً للمساومة أو الاتجار كما زعمنا- أو كما خشينا- من الناقدين ، أو الخائفين الخريصين ، بل تحملت واجهتها بجدية من أجل الخدائق ، حقيقة لا تتحقق المثل القائل "من برة هلا هلا ، ومن جوة يعلم الله" ، لأن الذي يجري بالداخل ، رغم تواضعه وأنه مجرد بدائيات ، هو أعظم وأعمق مما حدث في الحديقة...أى" ،

كما حملت في هذا المقال مسؤولية الاستمرار في التطوير والتتعديل ليس فقط على وزارة الصحة بل أيضاً على أقسام الطب النفسي بالجامعات حيث قلت بالحرف الواحد (خل بالك : ما زلنا سنة 1994)

"فمن الناحية العلمية بدأ النشاط العلمي المنتظم ، كما تم التخطيط للتأخر مع الجامعات (القاهرة وعين شمس والأزهر

وقنـة السـوـيـسـ)، وكـذـلـك تمـ الـاـتـفـاقـ معـ الـكـلـيـةـ الـمـلـكـيـةـ الـبـرـيـطـانـيـةـ لـلـطـبـ النـفـسـيـ للـتـعاـونـ فـيـ التـدـرـيـبـ وـتـبـادـلـ الـزـيـارـاتـ، كـمـاـ جـرـىـ التـحـيـثـ وـالـتـطـوـيرـ بـخـطـىـ عـمـلـقـةـ، كـلـ ذـلـكـ تـمـ بـفـضـلـ، وـلـيـسـ بـالـرـغـمـ مـنـ - الـأـسـتـاذـ الـدـكـتـورـ زـيـرـ الصـحةـ وـمـعـاـونـوـهـ الـكـرـامـ

..... إـلـىـ أـنـ قـلـتـ "

"... إـلـاـ أـنـ مـجـرـدـ الـاعـتـارـافـ بـهـذـهـ الإـجـابـيـاتـ لـاـ يـكـفـيـ، فـخـلـيقـ بـنـاـ هـمـيـعـاـ، (وـعـلـىـ وـجـهـ الـخـصـوصـ خـلـيقـ بـنـ اـنـتـقـدـ وـهـاجـمـ وـصـرـحـ وـأـلـحـ، وـشـكـ وـتـوـجـسـ)، خـلـيقـ بـنـاـ هـمـيـعـاـ أـنـ نـسـارـعـ بـالـإـسـهـامـ فـيـمـاـ جـرـىـ: لـيـسـ فـقـطـ بـالـاعـتـارـافـ وـالـشـكـ، إـنـماـ بـالـمـشارـكـةـ فـيـ الـجـهـدـ وـالـفـعـلـ..، فـبـالـرـغـمـ مـاـ تـنـظـمـ وـتـنـتـابـعـ وـزـيـدـ وـمـخـسـنـ، بـالـرـغـمـ مـنـ هـذـاـ كـلـهـ فـيـانـ الـإـمـكـانـيـاتـ الـبـشـرـيـةـ الـمـدـوـدـةـ الـتـيـ تـقـوـمـ عـلـىـ خـدـمـةـ الـمـرـضـيـ بـيـسـتـحـيلـ عـلـيـهـاـ أـنـ تـسـتـمـرـ تـعـمـلـ فـوـقـ طـاقـتـهـاـ هـكـذـاـ لـمـدـةـ طـوـيـلـةـ بـأـيـ قـدـرـ مـنـ الـكـفـاءـةـ الـمـطـلـوـبـةـ، وـمـاـ لـمـ تـتـضـاعـفـ الـإـمـكـانـيـاتـ أـضـعـافـاـ كـثـيرـةـ، وـمـاـ لـمـ نـقـدـ الـعـامـلـيـنـ وـنـجـيـزـهـمـ عـلـىـ مـاـ فـعـلـوـاـ وـيـفـعـلـوـنـ، فـسـوـفـ يـنـتـهـيـ كـلـ شـيـءـ إـلـىـ زـوـالـ أوـ أـنـيـارـ لـاـ قـدـرـ اللـهـ، نـعـمـ: لـمـ يـعـدـ مـنـاسـبـاـ أـنـ نـكـنـقـيـ بـالـنـقـدـ وـالـتـرـبـصـ، أـوـ حـتـىـ بـالـنـصـحـ وـالـإـرـشـادـ، دـوـنـ إـسـهـامـ فـعـلـيـ أـوـ عـوـنـ عـيـنـ جـوـهـرـيـ، وـمـاـ لـمـ نـفـعـلـ وـنـبـادـرـ وـنـتـعـاـونـ وـنـتـحـمـلـ (مـنـ الـجـامـعـاتـ خـاصـةـ) فـيـانـ الـخـمـاسـ سـيـهـمـ، وـالـإـجـهـادـ سـوـفـ يـتـصـاعـدـ، حـتـىـ إـنـهـاـكـ فـيـجـهـهـ الـخـيـرـ..، أـخـ.

حتـىـ جاءـ مـعـالـيـ الأـسـتـاذـ الـدـكـتـورـ حـامـيـ الجـبـيلـ فـحـقـ كـلـ ذـلـكـ وـزـيـادةـ، وـاستـعـانـ بـرـجـالـ الـجـامـعـةـ، بلـ وـبـعـضـ الـثـقـاةـ مـنـ الـقـطـاعـ الـخـاصـ دـوـنـ تـرـدـدـ، وـأـصـبـحـ أـحـلـامـ 1994ـ هـيـ حـقـائقـ 2010ـ.

### خلاصة القول:

منـ وـاقـعـ الـخـيـرـ الـسـابـقـةـ، وـثـقـةـ فـيـ الـمـسـئـولـيـنـ حـالـاـ، فـإـنـيـ أـرـجـعـ أـنـهاـ مـجـرـدـ إـشـاعـةـ، وـأـنـ اـمـتـنـاعـ وـزـارـةـ الـصـحـةـ عـنـ نـفـيـهـاـ أـوـ تـأـيـيـدـهـاـ لـيـسـ دـلـيـلاـ عـلـىـ مـوـافـقـتـهـاـ، فـهـيـ سـوـفـ تـسـتـجـيبـ لـلـحـقـ كـمـاـ اـسـتـجـابـ الـمـسـئـولـوـنـ مـنـ قـبـلـ، وـلـاـ أـنـظـنـ أـنـ نـكـسـةـ الـدـيمـقـراـطـيـةـ قدـ أـصـابـتـ وـزـارـةـ الـصـحـةـ الـأـقـرـبـ إـلـىـ آـلـمـ الـنـاسـ، وـحـقـوقـ الـمـرـضـيـ، وـفـهـمـ الـأـطـيـاءـ.

قـبـلـ أـنـ أـخـتـمـ أـمـلـيـ الـمـتـفـاـئـلـ جـداـ ثـقـةـ فـيـ الـوـزـيـرـ وـرـجـالـهـ أـوـجـزـ الـأـفـكـارـ الـقـدـيـمةـ الـتـيـ جـاءـتـ فـيـ الـمـقـالـيـنـ الـسـابـقـيـنـ مـنـذـ حـوـالـيـ عـشـرـيـنـ عـامـاـ، فـبـالـإـضـافـةـ إـلـىـ الـمـجـجـ الـعـمـلـيـةـ الـتـيـ يـطـرـحـهـاـ زـمـلـائـيـ الـآنـ وـعـلـىـ رـأـسـهـمـ الـأـخـ الـقـائـدـ أـ.ـدـ.ـ أـمـهـدـ عـكـاشـةـ عـنـ عـدـدـ الـمـرـضـيـ، وـضـرـورـةـ قـرـبـهـمـ مـنـ مـسـكـنـهـمـ، وـرـفـضـ عـزـلـهـمـ، وـحـقـوقـ الـمـرـضـيـ الـنـفـسـيـ، وـكـلـهـاـ إـنـذـارـاتـ وـاجـبـةـ أـوـلـاـ، أـقـولـ: بـالـإـضـافـةـ إـلـىـ كـلـ ذـلـكـ فـيـانـ كـنـتـ قـدـ بـيـنـتـ وـجـهـةـ نـظـرـ سـيـكـوـبـاـثـوـلـوـجـيـةـ فـيـ الـمـقـالـيـنـ الـسـابـقـ الـإـشـارـةـ إـلـيـهـاـ فـيـ مـحاـوـلـةـ تـوـضـيـحـ: "مـعـنـيـ وـجـودـ الـجـنـونـ دـاـخـلـنـاـ، وـمـاـ يـقـابـلـهـ مـنـ وـجـودـ الـجـانـيـنـ بـيـنـنـاـ" عـلـىـ مـرـمـىـ مـنـ بـفـوـرـةـ وـعـيـنـاـ" وـمـنـ ذـلـكـ:

أـوـلـاـ: إـنـ وـجـودـ مـسـتـشـفـيـ لـلـأـمـرـاـفـ الـعـقـلـيـةـ وـسـطـ الـمـدـيـنـةـ Down

هو من أرقى علامات تحضر دولة ما، (وقد استشهدت بمستشفى " سانت آن" التي عملت بها لمدة عام في باريس 1968/1969 وهي تقع في الدوران الثالث عشر، في مقابل المركز الدول لاستقبال زوار باريس وضيوفها FIAP ، وهو دوران يقع في "سرة" باريس فعلا

**ثانية:** إن وجود من يسمون المجنين وسطنا، في قرة عيوننا، وفي متناول وعيينا اليومي، هو دليل على مدى احترامنا لهذه الخبرة الشديدة الثراء، برغم أنها مننة شديدة الابتلاء .

**ثالثا:** إن اعترافنا بأن "حالة الجنون" (وهي هي حالة الحلم في الشخص العادي) هي حالة دورية يمر بها كل واحد منا كل ليلة ربع ساعات نومه، هو الانطلاق العلمي السليم نحو فهم الجنون كأحد دورات الإيقاع الحيوي لكل منا، مما يمكننا من احتوايه ومحن خترمه.

#### حـاقـةـ شـعـرـيةـ :

ثم أختتم مقالـيـ الآـنـ بـقتـطـفـ منـ بـداـيـةـ كـتابـيـ الأمـ " درـاسـةـ فـيـ عـلـمـ السـيـكـوـباـثـولـوـجـيـ "

هل يـعـرـفـ أحـدـكـمـ مـاـ يـعـمـلـ دـاخـلـهـ مـنـ " جـنـهـ "   
هل يـقـدـرـ أـئـمـنـكـمـ أـنـ يـعـضـيـ وـحـدـهـ لـاـ يـذـهـبـ عـقـلـهـ   
هل يـعـرـفـ كـيـفـ يـصـارـعـ قـهـرـ النـاسـ،ـ وـالـخـابـرـ يـلـئـ قـلـبـهـ   
إـلـخـ . . . . .

ثم بالتأكيد من شعرى بالعامية على أن الجنون هو استاذى الأول فعلا، فكيف أبعد استاذى له كل هذا الفصل، قلت:

**المـريـفـ خـلـانـ أـتـلـمـلـمـ وـافـكـرـ.**

**المـريـفـ عـدـلـىـ مـخـىـ،ـ**

**نـفـفـهـ مـنـ كـلـ وـاغـشـ،ـ كـانـواـ فـارـضـيـنـ عـلـيـهـ.**

**مـنـ مـلاـعـبـ الـلـىـ بـايـعـ ذـمـتـهـ بـمـقـرـفـشـيـ إـيـهـ.**

..... (اخ)

**وـأـخـرـاـ :**

فـإـنـيـ عـلـىـ يـقـيـنـ مـنـ أـنـ مـعـالـيـ وزـيـرـ الصـحةـ حـاتـمـ الجـبـيلـيـ لـاـ مـجـتـاجـ إـلـىـ وـقـفـةـ اـحـتـجـاجـيـةـ،ـ وـلـاـ إـلـىـ قـضـيـةـ دـولـيـةـ،ـ لـأنـهـ يـقـيـنـاـ،ـ بـماـ فـعـلـ وـيـفـعـلـ،ـ لـيـسـ أـقـلـ مـنـ سـلـفـهـ وـعـيـاـ بـكـلـ هـذـهـ الـحـقـائـقـ،ـ وـلـيـسـ أـيـضاـ أـقـلـ حـرـصـاـ عـلـىـ الـمـرـضـيـ وـالـأـطـبـاءـ،ـ وـلـيـسـ أـقـلـ إـدـرـاكـاـ لـلـمـعـنـىـ الـخـضـارـىـ،ـ وـالـإـنـسـانـ،ـ وـالـوـقـائـىـ لـبـقـاءـ الـجـنـونـ دـاـخـلـنـاـ،ـ نـرـعـاهـ وـنـنـمـوـهـ بـهـ،ـ أـعـنـىـ لـبـقـاءـ جـانـيـنـاـ بـالـقـرـبـ مـنـاـ نـعـالـجـهـمـ وـنـتـعـلـمـ مـنـهـمـ كـلـ شـيـءـ،ـ نـعـمـ كـلـ شـيـءـ . . . .